مجلة تسليم
Journal Homepage: https://tasleem.alameedcenter.iq
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)

في التسليم للعترة الطاهرة:

مُهَيْمِنَاتُ الفِكْرِ القُرْآنِيِّ وَتَشَكُّلَاتِهِ البَلَاغِيَّةِ فِي أَقْوَالِ الإِمَامِ الهَادِي عليه السلام

مُحَمَّد إسماعيل مُحَمَّد كنجو [1]

١ جامعة حلب/ كليّة الآداب والعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية، سوريا ؛

Fa8288452@gmail.com

دكتوراه في اللُّغة العربيَّة / مدرِّس

تاريخ التسلّم	تاريخ القبول	تاريخ النشر
٢٠٢٤ /٥ /٣١	٢٠٢٤ /٧ /١٤	٢٠٢٤ /١٢ /٣١

المجلـــد (٢٠) العـــدد (٣٢)
جُمَادَى الآخرة ١٤٤٦هـ . كَانُون الأوَّل ٢٠٢٤ م

DOI:
10.55568/t.v20i32.63-80

CC BY NC

مُلَخَّصُ البحْث:

من أراد الوصول إلى البيان العالي يجب أن يغترف من القرآن الكريم، وهذا لا ينكره عالمٌ من علماء البلاغة العربيَّة. فأهمِّيَّة الدّرس البلاغيّ تكمن في معرفة النموذج البيانيّ الأعلى للُّغة، وكان هذا النموذج القرآن الكريم، فهو المِداد الَّذي تغرفُ منه الأمَّة.

وهذا ما تجلَّى واضحًا في كلام أهل البيت عليهم السلام، فنرى كيف هيمنت معاني القرآن وأفكاره في كلامهم، ولم يكتفوا بأخذ المعاني، وإنَّما حاكوا أيضًا الأساليب البلاغيَّة للقرآن فيه، من طباق وجناس وأساليب الأمر والاستفهام والصور البيانيَّة.

فتجلَّى في دعائهم معاني التّحصين والالتجاء إلى الله تعالى، فنلمس من خلال ذلك الدّعوة إليه وعدّه المنهج القويم في حياة الإنسان.

ومن الأئمَّة الأخيار وقع الاختيار على الإمام الهادي عليه السلام، الَّذي كان متضلِّعًا وملمًّا بجميع العلوم والمعارف الإسلاميَّة، فكان فقيهًا، إمامًا، عالمًا، عابدًا.

ومن خلال اطِّلاعنا على كلام الإمام الهادي عليه السلام رأينا أنَّه نهج في كلامه الأثير نهج خير الكلام المبين من حسن اللَّفظ ورونق العبارة، ترى من كلمات أدعيته وحكمه ما يؤنسك ويروقك، وما لمعانيه من جمال إلى قلبك أسرع من اللَّفظ إلى سمعك.

فضمَّن الإمام في كلامه الأساليب البلاغيَّة الَّتي لا يغفل شأنها في جعل القلوب تميل إليها، فجاء هذا البحث بعنوان "مهيمنات الفكر القرآنيّ وتشكُّلاته البلاغيَّة في أقوال الإمام الهادي عليه السلام". وقد تشكَّلت في

Quranic Dominating Thoughts and its Rhetorical Manifestations in Sayings of Imam Al-Hadi

Muhammad Ismail Muhammad Kanjo [1]

1 University of Aleppo/ Faculty of Arts and Human Sciences/ Department of Arabic, Syria;

Fa8288452@gmail.com

PhD. in Arabic Language/ Lecturer

Received:	Accepted:	Published:
31/5/2024	14/7/2024	31/12/2024

DOI: 10.55568/t.v20i32.63-80

Volume (**20**) Jumada Alakhirah 1446 AH.
Issue (**32**) December 2024 AD

CC BY NC

Abstract:

Whoever seeks to attain the highest level of eloquence is to draw from the Qur'an, a fact acknowledged by all scholars of Arabic rhetoric. The importance of rhetorical studies lies in understanding the supreme linguistic model, that is the Qur'an itself, the source from which the nation derives its linguistic and rhetorical wealth.

This influence is clearly evident in the words of the Ahlalbayt (peace be upon them). It is to observe how the meanings and concepts of Glorious Quran dominate their speech. They did not merely adopt its meanings but also mirrored its rhetorical styles: antithesis, punning, imperative and interrogative modes, and other figure of speech.

In their supplications, they reflect meanings of protection and seeking refuge in Allah Almighty. Through this, one senses a call to Him and considers the Quran as the guiding principle in human life. Among the virtuous Imams, the imam al-Hadi is to be in focus and was deeply knowledgeable in all Islamic sciences and disciplines. He was a jurist, an imam, a scholar, and a devout worshipper. Upon examining his words, it is found that his eloquent speech follows the path of clear and beautiful expression, the words in his supplications and wise sayings captivate and appeal, the meanings reach the heart faster than words reach the ear.

He employed rhetorical techniques that could not be overlooked in their ability to arouse emotion. This research, 'Dominant Themes and Rhetorical Formations of Qur'anic Thought in the Sayings of Imam al-Hadi (Peace be upon Him),' explores how the meanings and rhetorical styles of the Qur'an are embedded in his supplications and teachings. He incorporated Qur'anic verses either through direct quotation or paraphrasing, imitating them in calling for righteous action, supplication, and gratitude to Allah Almighty for His blessings.

Keywords: Rhetorical style, imam al-Hadi (p.b.u.h.), Supplication, the Quran, Meanings, Sermons and Wisdoms

أدعيته ومواعظه معاني القرآن الكريم وأساليبه البلاغيَّة، فأورد فيها آيات القرآن إمَّا اقتباسًا بالمعنى أو باللَّفظ، فنراه يحاكيها بالدّعوة إلى الفعل الحسن، والتّضرُّع والتّوسُّل، وحمد الله على نعمه.

الكلمات المفتاحيَّة: الأسلوب البلاغيّ، الإمام الهادي، الدّعاء، القرآن، المعاني، المواعظ والحكم.

المقدِّمة:

لا يمكن لإنسان عربيٍّ أن ينكر أهمِّيَّة البلاغة في إدراك البنية الكلاميَّة للُّغة العربيَّة، فهي الأساس الضروريّ لمعرفة نماذج اللُّغة الممتازة، تلك اللُّغة الَّتي تمثَّلت بالقرآن الكريم فكان النموذج البياني الأعلى، فالعربيّ منذ ذلك الوقت وهو يجدّ في إظهار الإعجاز في نظمه، بذلك كان الأثر القرآنيّ حاضرًا في الكتابات العربيَّة، ومنها كتابات أهل البيت عليهم السلام، فما أنتجوه من كلامٍ رفيع المستوى يختلف عن الكلام العادي، وما تميّز به من وقع الأثر القرآنيّ شاهدًا ومضمونًا.

وقد تبيّن ذلك في توظيف العلوم البلاغيَّة من علم البيان وأساليبه المختلفة، وعلم المعاني وما يحتويه من أساليب التّقديم والتأخير والخبر والإنشاء، ولم يغفلوا ما لعلم البديع من رونق خاصٍّ في الكلام. من هنا تتجلَّى أهمِّيَّة البحث في السَّعي إلى تتبُّع التشكُّلات البلاغيَّة في أقوال الإمام الهادي عليه السلام وإن كانت هذه الأقوال أدعية أو مواعظ وحكم.

واعتمدنا في بحثنا المنهج الوصفيّ التّحليليّ، ومن خلاله تمكَّنَّا من جمع المواعظ والحكم والأدعية الَّتي من خلالها قسَّم البحث إلى مباحث ثلاث.

فوقفنا في المبحث الأوَّل عند علم المعاني، تناولنا الخبر والإنشاء وأساليبه من نداء وأمر ونهي واستفهام والأغراض الَّتي أفادتها هذه الأساليب من خلال القرائن الموجودة في السِّياق، وكان لا بدَّ من الوقوف عند التّقديم والتّأخير والإيجاز، وفي المبحث الثاني وقفنا عند علم البديع فدرسنا السجع والطّباق، وكان المبحث النهائيّ عند علم البيان، فتناول الاستعارة الَّتي قرّبت بين الحقول اللُّغويَّة. **المبحث الأوَّل: مقاصد المعاني.**

يقسم الكلام في البلاغة العربيَّة بحسب مطابقة الكلام لمقتضى الحال إلى خبر وإنشاء. فالخبر: هو قول يحتمل الصدق والكذب، ويراد به إمَّا إعلام المخاطَب بالحكم، أو إعلام المخاطب أنَّ المتكلِّم عالمٌ بالحكم. ولكن ليس بالضرورة أن يقصد المتكلِّم هذين الغرضين، وإنَّما يخرج الخبر إلى أغراض أخرى تعرف من خلال القرائن في الجملة.

وفي كلام الإمام الهادي ﷺ ثَمَّ النّصيب الأكبر للدعاء والمواعظ والحكم، وهذا النهج هو ما سار عليه أهل البيت ﷺ، فاقتبسوا من القرآن وظهرت معانيه وألفاظه، بل وحتَّى أساليبه في أقوالهم.

فنرى الأسلوب الخبريّ في قوله ﷺ: **"الهزءُ فكاهة السّفهاء وصناعة الجهّال"**[١] والهزء هو السّخرية[٢]

فيريد الإمام هنا النصح والإرشاد للابتعاد عن السخرية وكلّ ما يجعل الإنسان يعيش على هامش الحياة من غير هدف.

وعندما ذكر الهزء ربطه بالفكاهة الَّتي أضافها إلى السفهاء، ليبين من خلال قوله أنَّ هذا الفعل هو صفة من صفات السفهاء الَّذين يعيشون لأهوائهم، وجعله صناعة الجاهل الَّذي لا يملك هدفًا في حياته. فجاءت ألفاظه في الكلام مرتّبةً تبعًا للمعاني.

وفي دعائه يقول: **"أجل يا ربّ ونعم الرَّبّ أنت، ونعم المجيب وقلت "قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى" وأنا أدعوك اللَّهمَّ بأسمائك الَّتي إذا دعيت بها أجبت، وإذا سئلت بها أعطيت، وأدعوك متضرِّعًا إليك مسكينًا"**[٣] نجد في نصِّه اجتماع أكثر من أسلوب بلاغيّ، فالخبر ورد هنا للتأكيد أنَّ الله مجيب الدعاء، وجاء بالمقبوس القرآنيّ وهذا يدلُّ على حبِّه للقرآن وملازمته له وتعبُّده تلاوةً وتأمُّلًا، فكسب ما كسب من الطلاوة على معانيه وألفاظه.

أمَّا الإنشاء: فهو "الكلام الَّذي لا يحتمل صدقًا ولا كذبًا"[٤] وهو على قسمان: طلبيٌّ وغير طلبيّ.

فالطلبيّ هو: "ما استدعى مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب"[٥] وأساليبه هي الاستفهام والنهي والتمنِّي والأمر والنداء. أمَّا غير الطلبيّ فهو "ما لا يستدعي مطلوبًا"[٦] وصيغه المدح والذّم والتعجُّب والقسم والعقود والرجاء.

---

١ اليوسف، عبدالله . سيرة الإمام علي الهادي، ط١ (الرويس: دار المحجة البيضاء، ٢٠١٦)، ٥١٢.
٢ ابن منظور، لسان العرب، ط٣ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩)، ج١٥/ ٨٤.
٣ اليوسف، سيرة الإمام علي الهادي، ٩٨.
٤ العاكوب، عيسى. المفصَّل في علوم البلاغة العربية (مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، ٢٠١٧)، ٢٦٥.
٥ القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ط١ (دار الفكر العربي، ١٩٠٤)، ١٥٢.
٦ العاكوب، المفصَّل في علوم البلاغة العربية، ٢٦٥.

ومن أهمّ أساليب الطلب التي ورد استعمالها في كلام الإمام الهادي عليه السلام هي النداء والأمر والنّهي.

١ـ الأمر ومعانيه:

هو طلب الفعل من المخاطب على سبيل الاستعلاء، وهذا هو المعنى الحقيقيّ للأمر، ولكنَّه قد يذكر ليراد به معانٍ أخرى من مثل ما نراه في قول الإمام النّقي عليه السلام: " **اللُّهمَّ اكفف العذاب عن المستجيرين واصببه على المغيرين، اللُّهمَّ بادر عصبة الحقِّ بالعون وبادر أعوان الظلم بالقصم**"[٧]

فالأمر هنا خرج من معناه الأساسيّ إلى معنى الدعاء، فهو يتضرَّع إلى ربِّه ويستجير به، ليخفِّف العذاب عن كلِّ من استجار به و"أجاره الله من العذاب: أنقذه"[٨]

وأن يصبَّ العذاب على كلِّ غافل، ولا يتوقَّف بدعائه هنا بل يدعو بالعون لأصحاب الحقِّ وبالقصم وهو "كسر الشيء الشديد حتَّى يبين"[٩] على كلِّ ظالم متجبِّر. وهذا يلتقي مع الذكر الحكيم في قوله تعالى "وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره"(التوبة: ٦)

فجاءت هذه الكلمات محمَّلة بالمضمون المراد، فمن استجار ذهب إلى الركن الآمن ومن ظلم فقد قصم.

ومن الضروريّ الإشارة هنا إلى أنَّ الأدعية تتميَّز بتزكية النّفس وما تحتويه من مفاهيم حول العقائد والأخلاق، فتطغى عليها الجوانب الروحيَّة، وتدعو إلى الخير والسّلام، ويمكن القول هي بمنزلة الطريق الروحيّ إلى معرفة الله عزَّ وجلَّ.

ونلمس أيضًا أبعادًا جماليَّة عند الإمام الهادي عليه السلام في قوله: "**يا عزيز العزِّ في عزِّه ما أعزَّ عزيز العزِّ في عزِّه يا عزيز أعزّني بعزِّك وأيّدني بنصرك وأبعد عنِّي همزات الشياطين وادفع عني بدفعك ومنِّع عنِّي بمنعك واجعلني من خيار خلقك يا واحد يا أحد يا فرد يا صمد**"[١٠] فالأمر هنا جاء بمعنى الدّوام، إذ يطلب الهادي عليه السلام دوام عزِّه المستمدّ من العزيز الأوحد، وقوله اجعلني من خيار خلقك فهو للدعاء أيضًا، حيث اختتم دعاءه بالاسم الأعظم لله جل جلاله الواحد الأحد الصّمد.

---

٧ الحسيني، رضي الدين. مهج الدعوات ومنهج العبادات، ط١ (مؤسسة الأعلمي، ١٩٩٤)، ٨٤.
٨ ابن منظور، لسان العرب، ج٢/ ٤١٥.
٩ ابن منظور، ج١١/ ١٩٧.
١٠ اليوسف، سيرة الإمام علي الهادي.

٢ـ النداء ومعانيه:

النداء "طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو"[١١] ومن أشهر أدواته الهمزة والياء، وقد ترد صيغته في غير معناها وغالبًا ما تتبع جملة النداء جملة طلبيَّة.

ومثل ذلك قول الإمام الهادي ﷺ: **" يا كبير كلّ كبير، يا من لا شريك له ولا وزير، يا خالق الشّمس والقمر المنير، يا عصمة الخائف المستجير، يا مطلق المكبّل الأسير، يا رازق الطفل الصّغير، يا جابر العظم الكسير"**[١٢]

وجاء النّداء هنا للدعاء، وما نلحظه هنا هو دقَّة اختيار الكلمات في إثارة الانفعالات، فهو ﷺ لا يغفل أثر الكلمة في النّفس، فكلمة العصمة أوحت المعنى الَّذي يقصده الإمام في دعائه، فهو الملجأ الآمن، وجماليَّة هذا الدعاء نابعة من السجع، من وزن جميل لمعنى جليل، وما هو واضح للعيان غلبة المعاني القرآنيَّة في أدعيته، من وحدانيَّة الله إلى خلقه كلّ شيء.

وفي قوله ﷺ: **"يا عدّتي عند العدد، ويا رجائي والمعتمد، ويا كهفي والسّند، ويا واحد يا أحد، يا قل هو الله أحد، وأسألك اللَّهمَّ بحقِّ من خلقته من خلقك، ولم تجعل في خلقك مثلهم أحدًا، أن تصلِّي عليهم وتفعل بي كيت وكيت"**[١٣]

دعاؤه هنا من أجل الاعتصام بالله ﷻ، ومن المحتمل أن يكون النداء هنا من أجل الالتماس، فهو هنا ينادي الله ﷻ بأسمائه الحسنى. فمن إيراده كلمة السند والكهف يوضِّح أنَّه ﷻ الأمان والمرجع الوحيد للإنسان في حياته، وممَّا نلحظه في الدعاء السّابق الاقتباس من آيات القرآن الكريم ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١) ولذلك لأنَّه من أعلى درجات البيان والإفهام، فليس الإمام وحده من يضمن في نصِّه آيات القرآن بل كلّ من عرف واغترف من هذا الكتاب العظيم لقدرته على التأثير في النفوس.

وتتجلَّى المسحة الجماليَّة في أدعيته من التكرار والتوازن والتّقارب بين الكلمات، وهو ماله أثر في تسارع المعنى إلى النفوس.

---

١١ القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (بيروت: دار الجيل، د.ت.)، ج٣/ ٩١.
١٢ موسوعة الإمام الهادي، اللجنة العلمية في مؤسسة ولي العصر للدراسات الإسلامي، د.ط.، د.ت.، ٥٥٠.
١٣ اليوسف، سيرة الإمام علي الهادي، ١٠٢.

ولا يخفى عنه ﷺ ما لجمال صفات الله بالدعاء من روحانيَّة خاصَّة تبعث على الطمأنينة.

٣ـ النهي والدّلالة المجازيَّة:

النّهي هو "طلب الكفِّ عن الفعل استعلاءً، والاستعلاء إمَّا حقيقيّ وإمَّا ادّعائي"[١٤] ويخرج النّهي عن الدلالة الحقيقيَّة إلى دلالات مجازيَّة تفهم وتحدَّد من السياق وتدلّ عليها الأحوال.

وفي قول الإمام ﷺ الآتي نلمس معنى الامتنان **"يا ثقتي ورجائي، لا تحرق وجهي بالنار بعد سجودي لك"**[١٥]

وهنا نجد أسلوب النداء والنّهي، ففي قوله هذا نتبيَّن أنَّ الأفعال والإخلاص في العبادة هو سبب للاستجارة من عذاب النار. إذ يدعو الإمام ﷺ إلى العبادة، فالسجود هو من الأفعال العباديَّة الرّوحيَّة الأعلى الَّتي يتقرَّب بها العبد إلى خالقه، وهذا ليس شيئًا أمام عطاء الله وفضله ورحمته.

ونرى الوعظ بصيغة غير مباشرة في أسلوبه ﷺ، فهو يعلم أنَّ أسلوب الجبر مع الإنسان لا يحقِّق مراده، فالكلام غير المباشر واللَّفظ الرقيق اللَّطيف هو ما تلين له الأسماع وتطرب به العقول.

وفي قول الهادي ﷺ **"إلهي لا تغضب عليَّ فلست أقوى لغضبك، ولا تسخط عليَّ فلست أقوم لسخطك، إلهي أللنار ربَّتني أمِّي فليتها لم تربِّني، أم للشقاء ولدتني فليتها لم تلدني"**[١٦] جاء النهي للتضرُّع والدعاء، وذكر الغضب لأنَّه من الأمور الَّتي تجلب شقاء الإنسان، وجمع في قوله بين السخط والغضب ليبيَّن أنَّ الإنسان مخلوق ضعيف لا يقدر على تحمُّل الدنيا إلَّا برضى الله. فضمَّن في قوله معنى الآية "ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى"(طه: ٨١)

ويكمل بالاستفهام الَّذي أراد به التّصديق بالنفي، فهو يريد أن ينفي أنَّه ولد للشقاء أو ولد لدخول النَّار

٤ـ الاستفهام ومعانيه المجازيَّة:

بلا شكٍّ إنّ الاستفهام هو طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا، وأدواته كثيرة منها الهمزة

١٤ العاكوب، عيسى علي. المفصل في علوم البلاغة العربية (المعاني، البيان، البديع)(مطبوعات جامعة حلب، ٢٠٠٥)، ٢٧٦.
١٥ اليوسف، سيرة الإمام علي الهادي، ٩٩.
١٦ اليوسف، ٥٦١.

وهل ومن وكيف. وله معانٍ مجازيَّة تبيَّن من خلال السّياق، والاستفهام بمعناه الحقيقيّ لا يدخل في حقول البلاغة، وإنَّما عندما تسأل هذه الأدوات عن شيء مع العلم به، فيدخل السياق المجازيّ.

يقول الإمام الهادي ﷺ: "**إلهي قلب حشوته من محبَّتك في دار الدّنيا كيف تطَّلع عليه نار محرِّقة في لظى، إلهي نفسٌ أعززتها بتأييد إيمانك، كيف تزلّها بين أطباق نيرانك**"[١٧]

فالإمام ﷺ لا يسأل من أجل الاستفهام، بل للرجاء، فعمل الاستفهام هنا على بيان مقدار تجلِّي حبِّ الله والإيمان في قلبه، ورغم هذا فهو يخشى من لظى نار جهنَّم.

ونرى ما أضافه السجع من جماليَّة في الدعاء (إيمانك، نيرانك) وما له إيقاع تطرب له الأذن وتأنس له النّفس، فالصياغة جمعت بين المعنى الجميل واللَّفظ الأنيس.

ونرى جمال كلمة (حشوته) وما كانت لها من كثافة دلاليَّة عبَّرت به عن امتلاء هذا القلب بمحبَّة الخالق ﷻ، فالألفاظ لا تأخذ الأفضليَّة من حيث هي ألفاظ، بل من حيث ملاءمتها لمعنى الكلمات الَّتي تليها.

وهذا السبب الَّذي يجعل كلمة تروقك في موضع وتتوجَّس منها في آخر.

أ-التّقديم والتأخير:

لهذا الباب أهمِّيَّة بالغة في الدرس البلاغيّ ويكفي قول الجرجانيّ عن أهمِّيَّته: "هو باب كثير الفوائد، جمُّ المحاسن، واسع التّصرُّف، بعيد الغاية، لا يزال يفترُّ لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثُمَّ تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدَّم فيه شيء، وحوَّل اللَّفظ عن مكان إلى مكان"[١٨]

فإذًا هو واحد من الأساليب الَّتي تبيِّن قدرة اللُّغة على بيان المعنى بأكثر من طريقة، ونجد هذا الأسلوب في دعاء الإمام الهادي ﷺ ففي قوله: "**اللَّهمَّ يا مالك يوم الدّين، العالم بخفايا صدور العالمين، طهّر الأرض من بخس أهل الشّرك واخرص الخرّاصين عن تقوُّلهم على رسولك الإفك**"[١٩]

١٧ اليوسف، ١٠٥.
١٨ الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، تحقيق. محمد رشيد رضا (بيروت: دار المعرفة، ١٩٨١)، ٨٣.
١٩ الحسيني، مهج الدعوات ومنهج العبادات، ٨٤.

والأصل في الكلام (عن تقوُّلهم الإفك على رسولك) فتقديم الإمامﷺالرسول للاهتمام به، ولبيان أهمِّيَّة تلك المسألة وخطورتها، فيما فعله أهل الشرك في تكذيب الرسول.

وفي قولهﷺ:" **إلهي كلّ مكروب إليك يلتجئ، وكلّ محزون إيَّاك يرتجي**"[٢٠]

قدّم الإمام الهاديﷺالجارّ والمجرور على الفعل وذلك للتخصيص، وليبيِّن من خلال هذا الدعاء أنَّ الكرب والحزن علاجهم اللُّجوء إلى ركن الله، فالله رحيم بعباده يجيب دعوة الداع إذا دعاه.

وهذا ما وضَّحته كلمتا يلتجئ ويرتجي، فعكستا شعور الأمان باللُّجوء إلى الله. فالرسل جميعًا يعرفون أنَّ الملجأ الوحيد هو الله، فنبي الله نوحﷺنادى ربَّه، ففرَّج عنه وعن أهله الكرب الذي أصابهم. قال تعالى: "**ونوحًا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجّيناه وأهله من الكرب العظيم**"(الأنبياء: ٧٦)

ب- الإيجاز:

عند العرب خير الكلام ما قلَّ ودلَّ، فالإيجاز" تكثيف اللَّفظ وتركيزه على نحو تخرج فيه العبارة مثقلة بالدّلالة، مشبعة بالمعنى"[٢١] فكان عندهم الدلالة المثلى للبيان العالي، وكان للقرآن الكريم الحظّ الأوفر منه. وبما أنَّ أهل البيتﷺاستمدُّوا معاني الكلام من القرآن، فلا بدَّ أن نجد الفصاحة والبلاغة والوجازة في أسلوبهم ولا سيَّما في المواعظ، لأنَّها تعالج الكثير من الشؤون الاجتماعيَّة والأخلاقيَّة والتربويَّة سواء في عصرهم أو بعده، وتُعدُّ من أفضل وسائل تزكية النّفس لقصرها وإيجازها.

وهذا الأسلوب هو الغالب على مواعظ وحكم الإمام الهاديﷺ. يقول: "**الناس في الدنيا بالأموال وفي الآخرة بالأعمال**"[٢٢]

وفي قوله هذا تلخيص لحال الدنيا وبيان مدى حبِّ النفس البشريَّة للأموال، وتعلُّقها بالمادِّيَّات ويبيّن أنَّ هذا الحال على عكسه تمامًا في الآخرة، فالتفاضل هنالك بالأعمال وليس بالأموال. فالجملة القصيرة أغنت عن عبارات كثيرة وشروح طويلة، فهو يدعو إلى الأعمال الصالحة واستثمار تلك الأموال فيما يفيد الناس والمجتمع.

٢٠ اليوسف، سيرة الإمام علي الهادي، ١٠٥.
٢١ العاكوب، المفصل في علوم البلاغة العربية (المعاني، البيان، البديع)، ٣٤٥.
٢٢ المجلسي، محمد باقر. بحار الأنوار، ط٣ (بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣)، ج٧٨/ ٣٦٩.

وهـذا النهـج ليـس غريبًـا عـن أهـل البيـت، فهـم بمواعظهـم يكـرِّرون مـا جـاء بـه القـرآن المبين. قـال تعـالى: "فمـن يعمـل مثقـال ذرّة خـيرًا يـره"(الزلزلـة: ٧)

ولا يكتفـي في الدعـاء إلى العمـل الصالـح بـل ويحـذر مـن عاقبـة السـلوك السَّيء يقـول: **"إيَّـاك والحسـد فإنَّـه يبـيِّن فيـك ولا يعمـل في عـدوِّك"**[٢٣]

فالإيجاز هنا عبارات قليلة، ومعانٍ غزيرة. فالإمام الهادي يحذر من الحسد، والآثار المترتِّبة عليه، من عدم حبِّ الخير للآخرين وصاحبه منبوذ من الله والناس، فيبيِّن هذا السلوك في نفسه ويصبح مهمومًا مغمومًا، يتعب نفسه بمراقبة الناس ولا يؤثر بالضرورة فيهم.

وورد التّحذير من الحسد في القرآن﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾(النساء: ٥٤)

المبحث الثاني: مبتغى البديع.

هـذا العلـم تعـرف بـه المزايـا الَّتـي تجعـل الـكلام يزيـد حسـنًا وقبـولًا، فوضـوح دلالة المفـردات، وخلوُّهـا مـن التعقيـدات، هـو مـا يجعـل للـكلام تأثـير أكـبر في النفس. ويقسـم البديـع إلى محسِّـنات لفظيَّـة ومحسِّـنات معنويَّـة، وفيـه سـنتحدَّث عـن السّـجع والطّباق.

١ـ السّـجع: لا خفـاء مـا للسَّـجع في النّفـس مـن حـلاوة، وفي الأذن مـن طـلاوة، فعنـد توافـق الفاصلـة عـلى حـرفٍ واحـدٍ ينشـأ إيقـاع موسـيقيٌّ أثـره في النّفـس أبقـى.

وجـاء السّـجع في دعـاء الإمـام : **"إلهـي تاهـت أوهـام المتوهِّمـين، وقـصر طـرف الطارفـين، وتلاشـت أوصـاف الواصفـين، واضمحلَّـت أقاويـل المبطلـين عـن الـدّرك العجيـب لشـأنك"**[٢٤] فالسـجع في دعائـه جـاء دون تكلُّـف، والكلـمات أخـذت موضعهـا الصحيـح، فالإيقـاع الموسـيقيُّ في الدعـاء محبَّـب إلى النفـس، وأكثـر تأثـيرًا فيهـا.

وممَّا زاد من جماليَّة هذا الدعاء الجناس في (أوهام المتوهِّمين، أوصاف الواصفين، طرف الطارفين).

وفي الدعـاء الآتي أيضًـا يـبرز السـجع كأسـلوب فنـيٍّ رفيـع، ولكـن هـذه المـرَّة بما نسـمِّيه السَّـجع المتـوازي في آخـر الدعـاء **"يـا نـور النـور، يـا مدبِّـر الأمـور، يـا مجـري البحـور، يـا باعـث مـن في القبـور، يـا كهفـي حـين تعيينـي المذاهـب، وكنـزي حـين تعجـزني المكاسـب"**[٢٥] فالمفـردات هنـا

٢٣ المجلسي، ٣٧٠.

٢٤ اليوسف، سيرة الإمام علي الهادي، ١٠٥.

٢٥ موسوعة الإمام الهادي، اللّجنة العلمية في مؤسسة ولي العصر للدراسات الإسلامي، ج٢/ ٥٥٣.

خفيفة على السمع حلوة لا غثاثة فيها، متَّسقة تخدم المعنى من غير تكلُّف. إنَّ كثرة التدبُّر في القرآن عند أهل البيت عليهم السلام جعل المعاني القرآنيَّة واضحة في كلامهم، فالغاية منه أنَّ الله هو الملجأ الوحيد في قوله يا كهفي، وأنَّ الإيمان به هو الفوز الأكبر.

فنرى السّجع في دعائه ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالمعنى المراد أوَّلًا، وبالنَّصِّ القرآنيِّ ثانيًا، وحتَّى أنَّه نوَّع بالفواصل على غرار القرآن وذلك زيادة في رونق الكلام وغنىً في الجمال حتَّى لا يملَّ السامع.

٢ـ الطباق: وهو ما يعدُّه كثيرٌ من علماء البلاغة أهمَّ المحسِّنات البديعيَّة المعنويَّة، يحسّن اللَّفظ والمعنى، فعند الإتيان بالكلمة وضدَّها في جملة واحدة يعمل ذهن القارئ في الجمع بين المتباعدات والولوج إلى أعماق المعاني.

وتكون الدّهشة الكبرى عند القارئ في جعل الأفعال المطابقة لفاعل واحد وهذا ما جاء في كلام الإمام الهادي عليه السلام" **أنت المرجوّ للمهمَّات، وأنت المفزع للملمَّات، لا يندفع منها إلَّا ما دفعت ولا ينكشف منها إلَّا ما كشفت، وقد نزل بي من الأمر ما فدحني ثقله، وحلَّ بي منه ما بهضني حمله، وبقدرتك أوردت عليَّ ذلك، وبسلطانك وجَّهته إليَّ، فلا مصدر لما أوردت، ولا ميسِّر لما عسَّرت، ولا صارف لما وجَّهت، ولا فاتح لما أغلقت، ولا مُغلق لما فتحت، ولا ناصر لمن خذلت إلَّا أنت**".[٢٦]

فجمع في قوله بين اليسر والعسر وبين الفتح والإغلاق والنّصر والخذلان وهذا ما زاد في وضوح الجمل وإثارة الانتباه، ويؤدِّي ذلك الانسجام الصوتيّ دورًا في التّأثير في النّفس، فالإمام عليه السلام لا يفوته أن يجمع في أقواله مفاتيح البلاغة، وذلك لتقريب المعنى إلى ذهن السامع ورسوخها في نفسه.

وفي القول السابق بذكر الأضداد يوضِّح أنَّ الله جلَّ جلاله هو جامع الأمور كلِّها مضمِّنًا قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (آل عمران: ١٠٩)

ونرى الطباق واضحًا في قوله الإمام الهادي عليه السلام: " **اللَّهم لك الحمد في السّرَّاء والضّرَّاء، والشِّدَّة والرخاء، والعافية والبلاء، والسنين والدّهور على آلائك ونعمائك عليَّ وعندي، وعلى ما أوليتني**

٢٦ موسوعة الإمام الهادي، ج٢/ ٥٤٦.

وما أبليتني وعافيتني ورزقتني وأعطيتني وفضَّلتني وشرَّفتني وكرَّمتني، وهديتني لدينك حمدًا لا يبلغه وصف واصف ولا يدركه قول قائل"[٢٧] إنَّ الإمام في ذكره السَّراء والضَّراء والشدَّة والرخاء والعافية والبلاء يوضِّح أنَّ على الإنسان أن يحمد الله في كلِّ أحواله، فالإنسان عاجزٌ عن إدراك الخير الكامن وراء الشدَّة فيصيبه الجزع والحزن، ولكن الإمام يدعو إلى العبادة الصحيحة والشكر في كلِّ الأحوال.

إذ أفاد الطباق في الأقوال السابقة في توسُّع فكر الإنسان من خلال الإتيان بالمعنى وضدِّه.

فوضَّحت المحسِّنات البديعيَّة المعنى، وزادت من رونق العبارة ومن أثرها في النفس، وهذا الأسلوب هو أسلوب بلاغيّ قرآنيّ سار عليه الإمام في نهجه.

المبحث الثالث: مكنونات علم البيان.

إنَّ فائدة هذا العلم تكمن في معرفة أسرار كلام العرب المنظوم منه والمنثور، ومعرفة الفصاحة والبلاغة الَّتي بها يصل إلى المرتبة العالية.

ويضمُّ البيان التّشبيه والاستعارة والكناية. وقد كانت الصور البيانيَّة على أعلى لون من الإبداع في أقوال الإمام الهادي ، وذلك لمعرفته مالها من أثر في النفس ووقع على القلب.

ولعلَّ الاستعارة هي أكثر ما جذبنا بلاغيًّا في أدعية الإمام، إذ "ترجع أهمِّيَّة الصورة الاستعاريَّة إلى قدرتها على الإيحاء والإيماء، واعتمادها على التلميح بدل التّصريح"[٢٨] ويقول الإمام الهادي: **"يا من تحلّ بأسمائه عقد المكاره، ويا من يفلّ بذكره جدّ الشدائد، يا من يُدعى بأسمائه العظام من ضيق المخرج إلى محلِّ الفرج، ذلَّت لقدرتك الصعاب وتسبَّبت للطفك الأسباب، وجرى بطاعتك القضاء ومضت على ذكرك الأشياء، فهي بمشيئتك دون قولك مؤتمرة، وبإرادتك دون وحيك منزجرة"** [٢٩] فقد جعل أسماء الله الحلَّ الوحيد لعقد المكاره، فشبَّه تلك المكاره بالحبل المعقود، فقارن بين لفظة المكاره والحبل وهو نوع من الخلق الجديد في العلاقات بين الكلمات في اللُّغة، وهذا الأسلوب هو من الأساليب القرآنيَّة الكثيرة، فكثير من آيات القرآن جمعت بين شيئين وليس بينهما وجه شبه، وهذا دليل على البيان العالي للقرآن الكريم.

٢٧ موسوعة الإمام الهادي، ج٢/ ٥٣٧.
٢٨ أبو العدوس، يوسف. مدخل إلى البلاغة العربية، ط٣ (عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ٢٠١٣)، ٢٠١.
٢٩ موسوعة الإمام الهادي، اللجنة العلمية في مؤسسة ولي العصر للدراسات الإسلامي، ج٢/ ٥٤٥.

وبذكر اسمه جلَّ علاه تفلذ حدّ الشدائد، فجعل الشدائد كالسيف وذلك لأنَّ كلًّا منهما يقطع الحياة عن الإنسان، وما للشدائد أثر على نفسه.

فذكر الله تعالى هو الركن الآمن الشديد فبذكره تطمئن القلوب، فضمَّن في دعائه عددًا من آيات القرآن الَّتي سطعت بشكل كبير في أدعيته.

وفي دعائه "**إلهي لسان كسوته من تماجيدك أنيق أثوابها، كيف تهوي إليه من النار مستعلات التهابها**"[٣٠] فمن خلال الاستعارة في القول السابق جمع بين الحسِّي والمعنويِّ، فقد جعل للتماجيد أيّ التسابيح أثواب، وهذا الجمع ساعد في تقريب الصورة إلى الذهن، وأبرز أهمِّيَّة التماجيد في جعلها كالجلد الَّذي يغطِّي اللِّسان، فلفظ كسوته تدلُّ على أنَّ اللِّسان أصبح له جلد، وهو ثُوب أنيق من أثواب التماجيد. فوضَّحت كيف أنَّ ذكر الله هو حاجب للإنسان عن كلِّ شرٍّ، فقرَّب المعاني المجرَّدة، وألبسها ثوبًا حسِّيًّا، ممَّا له وقع أكبر في النّفس.

ومن ذلك نجد أنَّ الصور الاستعاريَّة في أدعيته أسهمت في التقارب بين المَجالين الحسِّيِّ والمعنويِّ، وما لذلك من أثر أكبر في النفس وتوضيح المعاني.

الخاتمة:

بعد هذا العرض الموجز الَّذي وضَّح تشكُّل الأساليب البلاغيَّة القرآنيَّة في أدعية الإمام عليّ الهادي ﷺ، ومواعظه وحكمه، استطاع هذا البحث أن يصل إلى مجموعة من النتائج الَّتي هي خلاصة لما تناوله البحث.

١-إنَّ الإمام الهادي ﷺ جمع في أدعيته ومواعظه أساليب البلاغة جميعها، فهو في دعائه لم يقتصر على أسلوب واحد، بل إنَّنا نجد السجع والطباق والخبر والإنشاء، وهذا يدلُّ على القدرة الفنِّيَّة والبلاغيَّة العالية عنده.

٢-إنَّ مواعظه وحكمه وأدعيته ذات أسلوب بياني عالٍ، فالألفاظ والمعاني مستقاة من القرآن الكريم، وذلك دليل على ملازمة الإمام ﷺ للقرآن تعبّدًا وتأمُّلًا وتلاوةً، فجمع فيها الجوانب الجماليَّة كافَّة، وذلك من أجل خدمة المعنى وتوضيح الأسلوب.

٣- كشف هذا البحث عن كثرة الأدعية للإمام ﷺ، وما احتوته من إرشادات ووصايا

٣٠ اليوسف، سيرة الإمام علي الهادي، ١٠٥.

أخلاقيَّة وتربويَّة وسلوكيَّة. وتناولت حكمه ومواعظه مجال تزكية النّفس وتهذيب الروح، وتعميق الفضائل والقيم العُلا، فجاءت موجزة قصيرة، ولكنَّها ذات تكثيف عالٍ للمعاني.

٤- تجلّى الاقتباس من القرآن الكريم واضحًا في أسلوبه البلاغيّ، ولا سيَّما في أدعيته، فنرى الاقتباس الحرفيّ من الآيات أو الاقتباس بالمعنى، ممَّا زاد من جماليَّة الأسلوب في أدعيته.

المصادر

القرآن الكريم

أبـو العـدوس، يوسـف. مدخـل إلى البلاغـة العربيـة. ط٣. عـمان: دار المسـيرة للنـشر والتوزيـع، ٢٠١٣.

ابـن منظـور. لسـان العـرب. ط٣. بـيروت: دار إحيـاء الـتراث العـربي، ١٩٩٩.

الجرجـاني، عبـد القاهـر. دلائـل الإعجـاز. تحقيـق مُحَمَّـد رشـيد رضـا. بـيروت: دار المعرفـة، ١٩٨١.

الحسـيني، رضي الديـن. مهـج الدعـوات ومنهـج العبـادات. ط١. مؤسسـة الأعلمـي، ١٩٩٤.

العاكـوب، عيسـى. المفصَّـل في علـوم البلاغـة العربيـة. مديريـة الكتـب والمطبوعـات الجامعيـة، ٢٠١٧.

العاكـوب، عيسـى عـلي. المفصـل في علـوم البلاغـة العربيـة (المعـاني، البيـان، البديـع). مطبوعـات جامعـة حلـب، ٢٠٠٥.

القزوينـي. الإيضـاح في علـوم البلاغـة. بـيروت: دار الجيـل، د.ت.

القزوينـي. التلخيـص في علـوم البلاغـة. ط١. دار الفكـر العـربي، ١٩٠٤.

المجلـسي، مُحَمَّـد باقـر. بحـار الأنـوار. ط٣. بـيروت: مؤسسـة الوفـاء، ١٩٨٣.

اليوسـف، عبـدالله. سـيرة الإمـام عـلي الهـادي. ط١. الرويـس: دار المحجـة البيضـاء، ٢٠١٦.

موسـوعة الإمـام الهـادي. اللجنـة العلميـة في مؤسسـة ولي العـصر للدراسـات الإسـلامي. د.ط.، د.ت.